كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الثامنة
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

وبعد :

فقبل أن أقدم هذا الكتاب إلى الطبع أشار إليَّ بعض الإخوة المخلصين بأن أنظر في الكتاب مرة ثانية لعل إثارات للملحدين قد عرضت ، أو زيادات مهمة في البحوث قد جدَّت ..

فوجدت نفسي منساقًا إلى الأخذ برأيهم الوجيه ، وإشارتهم المخلصة .. وفعلاً أخذتُ الكتاب وقلبت صفحاته ، فبعد دراسة طويلة للمصادر التي بين يدىَّ رأيت الزيادة في البحوث التالية :

في وجود الخالق سبحانه .

في شبهة مَن خلق اللَّه ؟

فى شبهة انحدار الإنسان من قرد .

وسوف تجد – أخي القارئ – الزيادة جلية واضحة في

هذه البحوث ، وسوف تنتفع بها إن شاء اللَّه سواء أكانت الزيادة في رد شبهة ، أو إضافة فكرة ، أو تثبيت إيمان ..

اللهم وفقنا دائمًا لإعزاز دينك ، وإعلاء كلمتك .. إنك بالإجابة جدير والحمد للَّه رب العالمين .

عبد الله ناصح علوان

* * *

مقدمة الطبعة الثانية

وبعد :

فإن مما يثلج الصدر ، ويفرح القلب أن نرى كثيرًا من شبابنا اليوم قد تنبهوا للدسائس والمؤامرات التي يروج لها أعداء الإسلام هنا وهناك ... سواء ما يتعلق بالتشكيك في العقيدة الإسلامية ، أو ما يتعلق بالطعن في نظام الإسلام ، أو ما يتعلق بإلقاء الشُّبه في شخصية الرسول ﷺ ...

بل أصبح لديهم من الفهم والوعي والرسوخ الإيماني ، والثقافة الإسلامية ... ما يؤهلهم أن يردوا على الباطل بالحق ، وعلى الجهل بالعلم ، وعلى الحيرة والشبهة بالبرهان الناصع ، والحجة الظاهرة .. ومما يؤكد هذه الظاهرة من الفهم والوعي والنضج في شبابنا ، أن أي كتاب فكري جديد تبرق معالمه في عالم الكتب يتبادرون لاقتنائه ، ويسارعون إلى قراءته ومطالعته ... ليكون تزودهم بالثقافة الإسلامية أكثر ، وارتشافهم من معين العلم والفكر أظهر وأعظم ...

وما كنت أتوقع ، يوم ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب أن تنفذ نُسَخُها في هذه المدة اليسيرة ، وأن يقبل الشباب والشابات على اقتنائها بهذه السرعة الكبيرة ، علمًا أن عدد النسخ في الطبعة الأولى كان بحدود ستة آلاف نسخة تقريبًا ... وهذه الظاهرة إن دلت على شيء فإنما تدل على حرص الجيل المسلم في هذه الأيام على أن يفهم ويعلم ؛ ليرد بحزم وقوة على افتراءات الملحدين ، ودسائس المنافقين الضالين .. وكم كنت أود أن أزيد في الطبعة الثانية بعض البحوث في ثنايا المواضيع التي طرقتها وفصلت عنها ، ولكن خشيت الإطالة التي توصل إلى الملل في بعض الأحيان ، ووجدت أن ما عالجته وبحثته في الطبعة الأولى كان كافيًا في الرد على مزاعم الملحدين ، ودسائس الزائفين المنحرفين ...

ومن أراد التوسعة من شبابنا في هذه المواضيع ، فليرجع إلى المصادر الكبيرة فيجد فيها بغيته وضالته ، وما يشبع فكره وعقله ...

اللَّه أسأل أن يجمعنا على الحق ، ويلهمنا السداد ،

ويهدينا سواء السبيل ... وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، فإنه سبحانه خير مسؤول وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد اللَّه رب العالمين

عبد الله ناصح علوان

١٨ محرم ١٣٦٩هـ

٢٠ كانون الثاني ١٩٧٦م

* * *

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد للَّه رب العالمين خالق الكون والحياة والإنسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبين للناس كافة حقيقة الإسلام والإيمان ، وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا في العالم راية التوحيد والعرفان ... وعلى من دعا بدعوتهم واهتدى بهديهم بصدق وإخلاص وإحسان ، **وبعد** :

فإن مما يحز في النفس ، ويترك في القلب أسى ولوعة أن نرى في هذا المجتمع الذي نعيش فيه بعض ضعفاء الإيمان ، وقاصري العلم والنظر قد تأثروا بالدعايات الإلحادية المغرضة ، التي يثيرها المضللون والملحدون حول وجود اللَّه ، وخلق الكون والحياة والإنسان ... وهذا التأثر ناتج عن الجهل في الظواهر التي تدل على اللَّه ، وعن خواء القلب من الإيمان المكين ، والعقيدة الراسخة ... ولما رأيت هذه الظاهرة المؤلمة كتبت هذه الرسالة الموجزة لأرد فيها على هذه الشبهات والأضاليل ، بالأدلة العلمية والبراهين العقلية ... وقد وفقني اللَّه أن أكتبها بأسلوب واضح وعبارات سهلة ؛ لينتفع بها

كل من يحسن قراءة العربية على اختلاف طبقاتهم ، وتباين مستوياتهم ، وأرجو من اللَّه العلي القدير أن تكون زادًا لكل شاب مؤمن يهمه أمر العقيدة والإيمان ، ليستطيع أن يرد على الباطل بالحق ، وعلى الجهل بالعلم ، وعلى الزيغ بالهدى ، وعلى التعصب الأعمى بالمنطق والحجة والدليل .

اللَّه أسأل أن يرد هؤلاء الحائرين المشككين إلى فطرتهم الصافية النقية ، وأن يبصرهم طريق الهدى والنور ، وأن يريهم الحق حقًّا ويرزقهم اتباعه ، والباطل باطلًا ويرزقهم اجتنابه ، وأن يحصنهم بدرع الإيمان الواقي الذي يجنبهم فتنة الكفر ، ومزالق الإلحاد ، وأن يغمرهم دائمًا بالشعاع الهادي الذي ينير لهم الطريق ، ويبدد أمامهم الظلمات ، وأن يعيدهم إلى أصالة الإيمان وحقيقة التوحيد .

كما أسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا في حيز القبول عنده ، وأن يتقبله مني يوم العرض عليه ، وأن يوفقني دائمًا لخدمة الإسلام والمسلمين ... إنه بالإجابة جدير ، وخير مسؤول .

عبد الله ناصح علوان

* * *

تقدمة وتمهيد

المعرفة الإلهية هي المرتكز الأساسي للدخول في حظيرة الإيمان ، وقنطرة الإسلام ، وبدون هذه المعرفة لا يكون الإنسان مؤمنًا ، ولا المنتمي إلى الإسلام مسلمًا ، بل كل عمل – ولو كان صالحًا أو إنسانيًا – يقدمه ويقوم به لا قيمة له ولا اعتبار في ميزان اللَّه ﷻ ، وفي الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ... ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

لهذا شرعت في كتابة هذه الرسالة الموجزة ، أبين فيها وجه الحق بالرد على شبهات يثيرها ملحدو هذا العصر ؛ ليعرف الناس سبيل الإيمان الصحيح ، والاعتقاد السديد ..

وهي على وجازتها مستوعبة أكثر الحجج والبراهين التي ترد على الباطل بالحق ، وعلى الجهل بالعلم ، وعلى الهوى بالبرهان والدليل .

ولا شك أن العاقل المنصف إذا فتح قلبه للحق ، وقرأها بإمعان وتدبير ، وحرر نفسه من العصبية والهوى .. إن كان

مؤمنًا ازداد إيمانًا ، وإن كان متشككًا وجد في صدره حلاوة الإيمان وبرد اليقين ، وإن كان ملحدًا أقلع عما يتوهمه من الجحود والنكران .

وسيجد القارئ الكريم ، أن هذه الشبهات التي يثيرها شرذمة من الملاحدة في هذه الأيام ، لا تنهض على دليل علمي ، ولا تستند إلى حجة أو برهان ، وإنما هي سراب خادع يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ، والغاية من ترويجها إثارة الشكوك ، وإشاعة الأضاليل ، وخداع السذج والبسطاء من الناس ، وترسيخ دعائم الكفر والإلحاد في مجتمعنا المسلم .

وآمل من شباب الإسلام الذين تأثروا بالدعاية الإلحادية – بعد قراءتهم لهذه الرسالة – أن يثوبوا إلى الحق ، وأن يسيروا في طريق الهدى ، حتى يصلوا إلى معرفة اللَّه ، ويؤمنوا بالدين الحق ... ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [القصص : ٥٠] .

أما الشبهات التي ستكون محورًا للبحث والرد فهي على الترتيب التالي :

١ - حول وجود الخالق .

٢ - شبهة هذا الكون وجد مصادفة .

٣ - شبهة هذا الكون أوجدته الطبيعة .

٤ - شبهة من خلق اللَّه ؟

٥ - شبهة انحدار الإنسان من قرد .

وإن شاء اللَّه في هذه الرسالة الموجزة ، فسآتي على ذكر كل شبهة وأبين وجه بطلانها ؛ ليعرف شباب الإسلام وجه الحق في الرد على هذه المزاعم والشبهات ، وعلى اللَّه قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

* * *

(١)

وجود الخالق

إن شبهة أن الخالق غير موجود هي شبهة واضحة البطلان ، يروِّج لها بعض الذين في قلوبهم مرض ، وهذه الشبهة - كما سيأتي - قد تهاوت أمام حقائق العلم ، وظواهر الكون ... بل أصبحت من التفاهة والسقوط ما يجعلها أن تنهزم من مواجهة الحق ، وإشعاعات البرهان : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

وقضية الإيمان باللَّه ستظلُّ ، ولا تزال تظل من الأمور البديهية التي لا تحتاج إلى فلسفة عميقة ، وإلى كثير من العلم ، لكون هذا الإيمان من ظواهر الأمور ، ومتطلبات الفطرة ... وقديمًا اهتدى الأعرابي بفطرته النقية وتفكيره السليم إلى الإيمان باللَّه ، فما وجد بدًّا إلا أن ينطق بهذه الكلمات نتيجة محاكماته وتأملاته : « البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ... ألا تدل على

الصانع الخبير ؟ » .

وحديثًا أقرَّ الإنسان الذي نشأ في بيئة ملحدة بضرورة الإيمان باللَّه ، وحاجة البشرية إليه ... فقد ذكرت مجلة الحج المكية ، في سنتها الثالثة والعشرين العدد الثالث منها عن لسان « سوتيلانا » بنت استالين : « إن السبب الحقيقي لهجر وطنها وأولادها هو الدين ، فقد نشأت في بيت ملحد لا يعرف أحد من أفراده الرب ، ولا يُذكر الرب عندهم عمدًا ولا سهوًا ، ولما بلغت سن الرشد وجدت في نفسي – من غير أي دافع خارجي – إحساسًا قويًّا بأن الحياة من غير الإيمان باللَّه ليست حياة ، كما لا يمكن أن يقام بين الناس أي عدل أو إنصاف من غير الإيمان باللَّه ، وشعرت في قرارة نفسها أن الإنسان في حاجة إلى الإيمان كحاجته إلى الماء والهواء » ا.هـ .

ومما يدعو إلى التساؤل : إذا كان أمر الإيمان باللَّه أمرًا فطريًّا وبديهيًّا ، ومن القضايا المسلمة فلماذا يجحده الجاحدون ، وينكره المنكرون ؟ .

إن الجواب على هذا التساؤل يكون من وجهين :

الأول : لأنهم مرضى في عقولهم ، ومرضى في قلوبهم ، ومرضى في حواسهم ، للبيئة الفاسدة التي رضعوا منها ، والمحيط الموبوء الذي عاشوا فيه ، وصدق من قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن المعلوم أن الإنسان حين يغمض عينيه عن رؤية الحق ، ويصمُّ أذنيه عن سماع الحق ، ويمسك لسانه عن الإقرار بالحق ، ويعطل عقله عن إدراك الحق ، فلا تنفع معه الآيات والنذر ، ولا تجدي الدلائل والبراهين ... ولقد ذكر القرآن الكريم أحوال هذا الصنف من الناس فقال :

– ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

الثاني : لأنهم لا يؤمنون إلا بما أدركته حواسهم ، وباعتبار أن اللَّه سبحانه لا يدرك بالحواس فهم لا يؤمنون به .

وما هذا الادعاء في الحقيقة إلا مغالطة كاذبة يردها

العقل ، ويبطلها العلم ، ويكذبها الواقع لكونها لا تقوم على برهان ، ولا تعتمد على دليل .

أما أن العقل يردُّها فلوجود كثير من الأشياء لا تراها العين ولا تدركها الحواس ، ولكن العقل يجزم بوجودها كأمواج الأثير ، والجاذبية الأرضية ، ووجود الروح ، وغيرها ..

وأما أن العلم يبطلها والواقع يكذبها فلوجود أشياء كثيرة مبثوثة في نواحي الكون ، وأجزاء الإنسان ...

عرفوها عن طريق الظواهر والآثار ، ولم يعرفوا عن حقيقتها شيئًا ، والحواس عاجزة كل العجز عن أن تدرك الحقيقة ، وتكتشف الماهية والذات .

فالعلماء مثلًا يؤمنون بالجاذبية الأرضية وقوانينها ، ولم يشاهدوها بل رأوا آثارها ، ويؤمنون بالعقل ، ولم يروه بل رأوا آثاره ، ويؤمنون بالمغناطيسية ولم يروها بل رأوا آثارها ، ويؤمنون بأمواج الأثير ولم يروها بل رأوا آثارها ...

وهذا يعني بوضوح أن كثيرًا من حقائق الوجود وظواهره ، يؤمن بها المنكرون والمؤمنون لإحساسهم بآثارها ووجودها ، دون أن تدرك حواسهم ذاتها وحقيقتها .

إذن ما السبيل إلى المعرفة إذا كانت الحواس لا تدرك كل شيء ؟

السبيل إلى المعرفة هو في الدرجة الأولى العقل ، فبالعقل يصل الإنسان إلى المعرفة الصحيحة ، وبه يدرك حقائق الأشياء وآثارها ، ولولا العقل ما صدر حكم ، ولا انكشف علم ، ولا قامت في الدنيا حضارة ..

فهل كان هؤلاء المنكرون على حق عندما حصروا المعرفة كلها بالحواس ؟ وهل كانوا مؤمنين بالعلم ، ومنطقيين مع أنفسهم ، عندما رفضوا الإيمان باللَّه لأنه لم تدركه حواسهم ؟ مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بكل الحقائق العلمية التي لم يشاهدوها !! .

فما مثل هؤلاء المنكرين لوجود اللَّه لكونهم لم يروه ، إلا كمثل من رأى تمثيلية في مسرح ، فأعجب بها لروعة فنها ، وجمال عرضها ، وحسن أداء أدوار الممثلين فيها ... ثم أنكر المُخرج الذي أخرجها ، وكاتب المسرحية الذي كتبها لكونه لم ير في التمثيلية المخرج ، ولم يبصر الكاتب !

والحقيقة التي لا شك فيها لولا المخرج ، لما كانت

التمثيلية ، ولولا كاتب المسرحية ، لما أعجب الجمهور بها .

وكذلك - ولله المثل الأعلى - لولا وجود الخالق لما كان هذا الكون ، ولولا وجود حكمته في وضع الأشياء بموضعها لما كان هذا الإبداع الرائع ، والتناسق العجيب ! .

إذن فالحقيقة التي نصل إليها أن هذا الكون مليء بموجودات لا تقع تحت نطاق الحس ، ولا تعرف عن طريق الرؤية ، وإنما نستدل عليها عن طريق العقل وظهور الآثار .

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا الاتجاه ، طرفة وقعت في مدرسة ابتدائية ، حيث وقف معلم ملحد يقول لطلاب السنة الابتدائية السادسة ما معناه : أترونني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذن أنا موجود . ثم قال : أترون السبورة ؟ قالوا : نعم ، قال : فالسبورة إذن موجودة . ثم قال : أترون الطاولة ؟ قالوا : نعم ، قال : فالطاولة إذن موجودة . ثم استطرد معهم حتى وصل إلى غايته الخبيثة فسأل : هل ترون الله ؟ قالوا : لا ، قال : فالله إذن غير موجود ، فوقف أحد الطلاب الأذكياء معقبًا على أسئلة معلمه الملحد ، فقال لزملائه الطلاب : هل ترون عقل أستاذكم ؟ قالوا جميعًا :

لا ، قال الطالب الذكي : فعقل الأستاذ إذن غير موجود ، فضحك الطلاب وخجل الأستاذ الملحد ! .

* * *

وبعد هذه التقدمة إليك - أيها القارئ - أظهر الأدلة التي تدل على وجود هذا الخالق العظيم :

١ - دليل حدوث الكون :

من الأمور المسلَّم بها عقلًا ، والمعروفة تجربةً وحسًّا وواقعًا ، أن كل حادث لا بد له من مُحْدِث ، وباعتبار أن هذا الكون حادث ، إذن لا بد له من محدث ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ الحق السليم بقوله : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] .

إذن فإنكار مُحدِث للحوادث ، ومُوجِد للوجود تكذيب للواقع ، وتناقض مع العقل ، ونسف لمبدإ السببية الذي هو مفتاح العلم ، ومصدر الحقائق ...

وقد يقول قائل : إن هذا المحدث لهذه الحوادث هو الطبيعة ، وسيأتي الكلام على الطبيعة .

أو يقول : إذا أقررنا بوجود الخالق ، فمن الذي أوجده ، وسيأتي تفصيل ذلك .

أو يقول : إذن هذا العالم قديم أزلي ليس لنشأته بداية ، وفكرة قدم العالم منقوضة من الناحية العلمية ، ومن الناحية العقلية ، ونترك لأستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة « مانيوتوبا » بكندا العالم « فرانك ألْن » يرد على شبهة قدم العالم ، وإليكم ما قاله كما جاء في كتاب « اللَّه يتجلى فى عصر العلم » (ص٥) : « كثيرًا ما يقال : إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق ، ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود ، فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟

هنالك أربعة احتمالات للإجابة على هذا السؤال :

- فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده .
- وإما أن يكون هذا الكون نشأ من تلقاء نفسه من العدم .
- وإما أن يكون أبديًّا ليس لنشأته بداية .
- وإما أن يكون له خالق .

أما الاحتمال الأول ، فإنه لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال لسخافته .

أما الرأي الثاني الذي يقول : إن هذا الكون قد نشأ من العدم ، فهو لا يقل عن سابقه سخفًا وحماقة .

والرأي الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية ، إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون ، وذلك في عنصر واحد هو الأزلية والقدم . وإذن فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت ، وإما أن ننسبها إلى إله حي يخلق ... ولكن قوانين الحرارة تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيًّا ، وأنها سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة ، وتستحيل الحياة ... أما الشمس المستعرة ، والنجوم المتوهجة ، والأرض الغنية بأنواع الحياة ، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث .

ومعنى ذلك : أنه لا بد لأصل هذا الكون من خالق أزليٍّ

ليس له بداية ، عليم محيط بكل شيء ، قوي ليس لقدرته حدود ، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه » ا.هـ .

والإمام الغزالي يثبت أن هذا الكون حادث بناء على ملاحظة الحركة والسكون ، يقول في كتابه « تهافت الفلاسفة » (ص٩٩) : « إن دورة من الفلك إما أن تكون شفعًا أو وترًا ، فإن كانت شفعًا فقد أتمت عددًا فرديًّا ، وإن كانت وترًا فقد أتمت عددًا زوجيًّا ، وإذن فالعدد السابق في كلا الحالين محدود ولما كان محدودًا فهو حادث قطعًا » [1] ا.هـ .

فالذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن هذا الكون ما دام فيه حرارة وما دام فيه حركة وسكون ... فلا يمكن أن يكون قديمًا ، وإذا كان ليس قديمًا فهو إذن حادث ، وإذا كان حادثًا فلا بد له من مُحْدِث ، والمحدث هو اللَّه ﷻ ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ

(١) لنفرض أن العدد الفردي (٦١) والعدد الزوجي (٦٠) ، فالعدد الفردي لم يصبح (٦١) حتى سبقه العدد (٦٠) ، والعدد الزوجي لم يصبح (٦٠) حتى سبقه العدد (٥٩) ، وطالما كان كلا العددين مسبوقًا فقد صار محدودًا ، ولما كان محدودًا فهو حادث قطعًا لوجود السابق عليه .

ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٠، ٢١] .

* * *

٢ - دليل الإرادة العليا :

إن كل شيء في هذا الوجود يمكن أن يكون موجودًا ، ويمكن أن يكون معدومًا ، ويمكن أن يكون على صفة واحدة ، ويمكن أن يكون على صفات متنوعة ، ويمكن أن يكون في زمان ، ويمكن أن يكون في أزمنة أخرى ، ويمكن أن يكون بمقدار ، ويمكن أن يكون بمقادير أخرى ... إذن لا بد من وجود إرادة عليا ، رجَّحت أحد هذه الاحتمالات والإمكانات ، حتى كان هذا الكون على أتم نظام ، وأكمل إبداع ، وكل شيء فيه على أجمل ترتيب وأروعه .

والذي نخلص إليه أنه ما دام في هذا الكون نظام وإبداع ، ودقة وإحكام ... فلا بد إذن من إرادة عليا صدرت عن خالق مختار حكيم مريد وضع كل شيء في موضعه ، وأعطى كل شيء خَلْقَهُ ثم هدى .

وإن شاء اللَّه في ردنا على شبهة أن يكون هذا الكون

وجد مصادفة فسوف تجد – أخي القارئ – الظواهر التي تدلُّ على تناسق هذا الكون ، وتآلفه المحكم البديع ، وأنه لا بد من إرادة عليا رجحت وأبدعت وأحكمت ، وأتقنت كل شيء .

* * *

٣ - ظاهرة الحياة :

إن المتأمل للمخلوقات الحية المنبثة هنا وهناك ، والمنتشرة في عوالم هذا الكون ، يجد ملايين الملايين من الأحياء تنقسم إلى آلاف من الأنواع والأجناس ، كل جنس وكل نوع له خصائصه ومزاياه ، وشكله وصورته ، وطرق تغذيته ، وطرق حياته ، وبقاء نوعه وسلالته ...

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النوعيات والأجناس حين قال : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [النور : ٤٥] .

كما أنه أشار إلى الخصائص والمزايا ، والشكل والصورة ،

وطرق الحياة حين قال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

فهذه النوعيات والأجناس من الكائنات الحية المنتشرة في الكون هنا وهناك ، وهذه الخصائص والمزايا الموجودة فيها ... ألا تدل على أن اللَّه سبحانه هو الذي بدأ خلقها ، وصوَّر أشكالها ، وقدَّر أقواتها ونفخ فيها روح الحيوية والحياة .. ؟ ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

فهل يستطيع أحد في هذا الوجود مهما أوتي علمًا وقدرةً وذكاءً ، أن يخلق كائنًا حيًّا بعد أن لم يكن ؟ .

القرآن الكريم يتحدى البشر أن يخلقوا ذبابة إن كان في مقدورهم ، فإن ثبت عجزهم أفلا يدل على أن المحيي والمميت هو اللَّه سبحانه ؟! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

ولقد سار الإنسان في الطريق ليجرب حظه في هذا

التحدي لا ليصنع ذبابة ، بل ليصنع ما هو أقل منها ، فماذا كانت النتيجة ؟

لقد كانت ما يلي : حاول الاتحاد السوفييتي أن يبرهن على إمكانية نشأة الحياة كيماويًّا ، وقد كلف بهذا الموضوع « أوربارين » رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفييتي وطُلبَ منه أن يتفرغ للبحث في أمر واحد وهو مدى إمكانية إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي ، وبعد عمل متواصل قارب « ٣٧ عامًا » أعلن عن النتيجة التي توصل إليها في تقرير رسمي أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم إذ ذاك خلاصته : « أن العلم الكيميائي عاجز عن إيجاد الحياة في المخبر ، وأن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم ، والعلم لا شأن له إلا بالمادة المحسة » . ألا يدل هذا على أن اللَّه وحده هو الذي اختص بإبداع الكون ووجود الحياة ؟ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾ . [العنكبوت : ١٩] .

أما خلق الإنسان فهو أعجب وأعظم لما امتاز به من العقل ، ولما أوتي من الفهم والعلم ، ولما أعطي من ملكة

التعبير والبيان ، ولما فطر عليه من حسن الهيئة والصورة ، ولما سُخِّرَ له ما في السموات والأرض ، ولما أُودع فيه من قدرة فائقة ، وطاقة هائلة ، وذكاء فريد ... ويكفي الإنسان فضلًا وفخرًا وكرامةً أن يقول اللَّه عنه في محكم تنزيله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فكل هذه الخصائص والمزايا التي ركبها اللَّه في الإنسان ، تدل دلالة تامة على الخالق المبدع ، والإله الحكيم القادر .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإنفطار : ٦- ٨] .

وأما الذين يُرْجِعُون خلق الإنسان إلى زمرة الحيوانات وفصيلة القرود ، فهم الذين وقفوا من الإنسان موقف الإهانة والتحقير وطعنوا كرامته في الصميم .

وسوف ترى أيها القارئ ، نقض ما ادعوه في ردنا على شبهة أن الإنسان انحدر من قرد في آخر بحث من هذا الكتاب إن شاء اللَّه .

* * *

٤ - ظاهرة الإلهام والهداية :

نوضح هذه الظاهرة بالأمثلة التالية :

أ - خَطَرَ لعالم أمريكي أن يستفرخ البيض في جهاز خاص للتفريخ ، وذلك بوضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له ، فلما جمع البيض ووضعه في الجهاز ، نصحه فلاح أن يقلب البيض في كل فترة ، إذ إنه رأى الدجاجة تفعل ذلك ، فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل من حرارة جسمها ، أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكل أجزاء البيضة .

واستمر العالم في عمله ، حتى جاء دور الفقس ، وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة ، وكرر التجربة بلا جدوى ، وأخيرًا استمع إلى نصيحة الفلاح ، فصار يقلب البيض حتى إذا جاء ميعاد الفقس خرجت الفراريج .. وآخر تعليل علمي لهذه الظاهرة ، أن الفرخ حينما يخلق في البيضة ترسب المواد الغذائية في الجزء الأسفل من جسمه إذا بقي بدون تحريك فيؤدي إلى موته ، ولولا هذه الهداية التي أودعها اللَّه

في الدجاجة ، لما بقي نوع الدجاج في العالم .

ب - الزنبور يصيد حشرة الجندب النطَّاط وينخزه بإبرته في مكان مناسب ، بحيث يفقده وعيه مع بقائه حيًّا كنوع من اللحم المحفوظ ... وبعد ذلك يعد حفرة في الأرض ، ثم تأتي أنثى الزنبور وتضع بيضًا في مكان مناسب من الحفرة ، ثم تغطيها وترحل بعد أن أمَّنت وسيلة القوت والحياة لأولادها الصغار ...

ولولا هذه الهداية التي أودعها اللَّه في الزنبور ، لما بقيت زنابير على وجه الأرض .

ج - حيوان « الاكسيلوكوب » يعيش منفردًا في فصل الربيع ، ومتى باض مات ، فالأمهات لا ترى صغارها ، ولا تعيش لتساعدها في غذائها ودفاعها عن نفسها ، وهؤلاء الصغار لا تستطيع الحصول على الغذاء لمدة سنة كاملة ؛ لذلك ترى الأمَّ تعمد إلى قطعة خشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة ، ثم تَجْلِبُ طلع الأزهار وبعض الأوراق ، وتحشو بها تلك الحفرة ثم تبيض بيضة ، ثم تأتي بنشارة خشب ، وتجعلها عجينة لتكون سقفًا لهذه الحفرة ، فإذا

فقست البيضة ، وخرجت الدودة ، كفاها الطعام المدَّخر سنة كاملة .

ولولا هذه الهداية التي أودعها اللَّه في هذا الحيوان ، لقضي على نسله نهائيًّا .

هذه بعض الأمثلة من أمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى ، قصدنا بها لفت النظر إلى ظاهرة الهداية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات على السواء ، فإذا ما التفت العقل ودرس الوجود كله بعمق ودقة واستيعاب ، يرى هذه الظاهرة في كل شيء من هذا الوجود على الإطلاق ... فهي ظاهرة تنظم شؤون الكون كله ، بما فيه من الذرة إلى العناصر إلى الأرض إلى الشموس إلى المجرَّات إلى الحيوان إلى الإنسان ... وما أجمل ما عبر به القرآن في إثبات ظاهرة الإلهام والهداية حين قال : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] .

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم ، أن ظاهرة الإلهام والهداية التي أودعها اللَّه في هذا الكون ، هي من أكبر الظواهر التي تدل على خالق حكيم مبدع أحكم كل

شيء ، وأتقن كل شيء .

* * *

٥ - ظاهرة الوحدة المتكاملة في الكون :

إن المتأمل لملكوت هذا الكون ، يرى أن فيه وحدة متكاملة تدل على أن ذاتًا واحدة موجودة متصفة بالعلم والقدرة والإرادة ... قد أوجدته من عدم ، وخلقته بعد أن لم يكن ، هذه الذات هي اللَّه ﷻ .

ولنضرب على ذلك مثالًا واحدًا من أمثلة كثيرة لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بها العلم ألا وهو مثال الزهرة ، يقول الإمام البنا - رحمه اللَّه وأعلى منزلته - : « ترى الزهرة في النبات فترى لها أوراقًا جميلة جذَّابة ملوَّنة بألوان زاهية ، فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة في ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من الحشرات التي تمتصُّ رحيق الأزهار لتسقط على الزهرة وحتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوب اللقاح بأرجلها ، وانتقلت بذلك من الزهرة الذكر ، إلى الزهرة الأنثى فيتم التلقيح .

فانظر كيف جعلت هذه الأوراق الجميلة في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان ، حتى يستخدم النبات الحيوان في عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج ! ! .. » .

هذا التكامل لا نجده في عالم النبات فحسب ، وإنما نجده في كل شيء ، بين الليل والنهار ، السماء والأرض ، الشمس والقمر ، الطعام وجهاز الهضم ، الإنسان والحيوان والنبات ...

ومما يدل على وحدة هذا الكون وتناسقه العجيب أن الشمس - كما يقول صاحب كتاب « العلم يدعو إلى الإيمان » - لو أعطت للأرض نصف حرارتها الحالية لتجمدنا من البرودة ، ولو أن حرارتها زادت بمقدار النصف ، لكنا رمادًا منذ زمن بعيد .

- ولو كان قمرنا يبعد عنا « ٢٠٠,٠٠٠ » ميلًا بدلًا من بعده الحالي ، لكان المدُّ في البحار يبلغ من القوة ، بحيث إن جميع الأراضي تُغْمَرُ مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال عن أماكنها ، ولما أمكنت الحياة على وجه الأرض .

- ولو كان ليلنا أطول مما عليه الآن عشر مرات لأحرقت

شمس الصيف الحارة نباتاتنا في كل نهار ، وفي الليل يتجمد كل نبت في الأرض [١] .

وما أجمل تعبير القرآن الكريم في إثبات الوحدة المتكاملة للكون حين قال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣، ٤] .

والظواهر التي تدل على اللَّه أكثر من أن يحصيها عادٌّ ، أو يحيط بها عالم ، ومن أراد المزيد من هذه الظواهر ، فليقرأ كتاب هذا الكون ، وما فيه من آيات باهرات ، وليتأمل في خلق الأرض والسموات والإنسان ، فإن فيها الدلائل الناطقة على وجود اللَّه ، والبراهين الساطعة على إبداعه المحكم ، وصنعه المتقن ، وآثاره المعجزات ...

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

وصدق اللَّه العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ

(١) إن أردت المزيد فارجع إلى كتاب « العلم يدعو إلى الإيمان » لكريسي موريسون .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وما أحسن ما قال بعضهم :

تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صَنَع المليكُ
عيون من لُجَيْنٍ شاخصات
بأبصار هي الذهبُ السَّبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن اللَّه ليس له شريكُ

* * *

وأخيرًا أسوق إليكم ما قاله العلماء الطبيعيون في حقيقة الإيمان باللَّه :

١ – قال « ديكارت » العالم الفرنسي :

« إني مع شعوري بنقص ذاتي أُحسُّ في الوقت نفسه

بوجوب وجود ذاتٍ متكاملة ، وأراني مضطرًّا للاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسَتْه في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهي : اللَّه » .

٢ – وقال « هرشل » الفلكي الانجليزي :

« كلما اتسع نطاق العلم ، ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حدَّ لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون ، والرياضيون ، والفلكيون ، والطبيعيون ، ... قد تعاونوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح عظمة اللَّه وحده » .

٣ – قال « لينيه » كما نقله عنه « كاميل فلامريون » الفرنسي في كتابه المسمى « اللَّه في الطبيعة » :

« إن اللَّه الأزليَّ الأبدي العالم بكل شيء ، والمقتدر على كل شيء ، قد تجلَّى لي ببدائع صنعه حتى صرت مندهشًا مبهوتًا ، فأي قدرة ، وأي حكمة ، وأى إبداع أبدعه في مصنوعاته !! سواء في أصغر الأشياء أو أكبرها .. إن المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظمة رحمة اللَّه الذي سخرها لنا ، كما أن كمالها وتناسقها ينبئ

بواسع حكمته ، وكذلك حفظها عن التلاشي وتجددها يقرُّ بجلاله وعظمته » .

٤ – ويقول : « هربرت سبنسر » الإنجليزي في رسالته في التربية :

« إن العالِمَ الذي يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والأيدروجين بنسبة خاصة ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئًا آخر غير الماء ، يعتقد عظمة الخالق وحكمته وعلمه الواسع بأشد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعي الذي لا يرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك العالمُ الذي يرى قطعة البَرَد « الثلج » ، فيرى تحت مِجْهَرِه ما فيها من جمال الهندسة ودقة التقسيم ، لا شك أنه يشعر بجمال الخالق ، ودقيق حكمته أكبر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلا أنها مطر تجمد من شدة البرد » .

٥ – نقلت مجلة العربي في عددها ٢٠٤ (ص ٣٧) عن « توماس هكسلي » العالم البريطاني الشهير ما يلي :

« توماس هكسلي العالم البريطاني الشهير ، كان من

المتحمسين لداروين ونظريته (النشوء والارتقاء) ، وقد انعكس هذا الحماس على أبحاثه ومؤلفاته العلمية ولكنه سرعان ما تحوَّل عندما بدأ يرى اللَّه في كل شيء حوله إلى أن تجسد إيمانه أخيرًا في كتابه (مكان الإنسان في الطبيعة) » .

قال – يحدثنا فيما رآه من قدرة الخالق – : « في شروق الشمس رأيت أعظم ما يمكن أن يراه إنسان آمن باللَّه .. وهل هناك أروع من تلك اللحظة التي يظهر فيها هذا القرص الهائل من نفس المكان كل يوم ، فيبدِّد بضوئه الظلام الذي يحتوينا كلما غربت الشمس ؟ .

إن اللَّه والعلم لا يفترقان .. إنهما دائمًا على موعد ، وفي لقاء في كل تجربة ، في كل بحث يقوم به العلماء للكشف عن أسرار هذا الكون » ا.هـ .

يقول الإمام البنا – رحمه اللَّه وأجزل مثوبته – في كتابه العقائد (ص٥٧) : « وأقوال علماء الكون في ذلك لا تقع تحت حصر .. وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلم شبابنا أن دينهم من عند اللَّه تبارك وتعالى ، لا يزيده العلم إلا قوة وثباتًا وتأييدًا ، مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى

ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

* * *

(٢)

شبهة هذا الكون وجد مصَادفة

يثير بعض الملاحدة أن هذا الكون ليس من صنع خالق ، وإنما وجد مصادفة دون أن يكون للقدرة الإلهية أي تأثير فيه ، ونريد أن نناقش هذا الادِّعاء على ضوء العقل والعلم ، لنعرف مبلغه من الحقيقة ، ومقداره من الصواب ! ..

إن المصادفة في نظر العقل تقسم إلى قسمين :

١ - مصادفة ممكنة . ٢ - مصادفة مستحيلة .

● **أما المصادفة الممكنة فصورتها** : مهندس مدني أشرف على نسف جبل صغير في جهة من الجهات ، ولما قام بعملية تفجير الألغام ، إذ بالأحجار تتناثر هنا وهناك ، فتكوَّن عن طريق الصدفة بيت صغير ، لم تظهر عليه روعة الهندسة ، ولا تصميم البناء ... فتشكيل البيت مصادفة بهذا الوصف ، وبعد عمليَّة النَّسف ممكن عقلًا ؛ لأن الواقع يؤيده ، والعقل يصدقه .

وصورة أخرى : افرض أنك تملك مطبعة ، فيها نصف

مليون حرف مصفوفة في صناديقها ، فجاءت هزَّة أرضية قلبت صناديق الحروف وبعثرتها وخلطتها مع بعضها البعض ثم جاءك من يخبرك بأنه قد تألف من اختلاط الحروف مصادفة بضع كلمات متفرقة غير مترابطة المعنى ، فالمصادفة قد تكون في هذه الحالة ممكنة ؛ لأن الواقع يؤيدها ، والعقل يصدقها .

● **أما المصادفة المستحيلة فهي التي يحكم العقل ببطلانها لاستحالة وقوعها في عالم الواقع .**

وإليكم بعض الأمثلة والصور :

نرجع إلى الأمثلة السابقة لنرى وجه الاستحالة فيها .

أما فيما يتعلق بنسف الجبل فإنه من المستحيل عقلًا وعرفًا أن يتكوَّن من عمليَّة النسف قصر منيف رائع قائم على هندسة محكمة ، وتصميم بديع من ناحية ترتيب الغرف ، وموقع الشرفات وتماسك البناء ... فالعقل يكذب بداهة هذه المصادفة المزعومة ويحكم عليها بالاستحالة ، ويتَّهم من يدعيها بالهوس والجنون .

أما فيما يتعلق بالهزَّة الأرضية والمطبعة ، فإنه من المستحيل عرفًا وعقلًا كذلك أن يتكوَّن من نتيجة الهزَّة

الأرضية كتاب كامل مؤلف من « ٥٠٠ » صفحة مثلًا ، يتضمن فصولًا متعدِّدة ، تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة الأفكار ، متساوقة الأسلوب والمعاني ! ..

لا شك أنك في هذه الحالة ترى المصادفة أمرًا مستحيلًا ، والعقل لا يمكن أن يصدِّقها بل يتهم من يدَّعيها باختلاط العقل ، والهستريا الفاضحة !! ..

وقس على ذلك صورًا كثيرة من المصادفات التي يحكم العقل ببطلانها واستحالتها .

ولكن أين ما ذكرناه من صور المصادفة المستحيلة بالنسبة لهذا الكون الكبير المتآلف الأجزاء ، المحيِّر بإبداعه وروعة نظامه العقول والألباب ؟!

أين القصر المنيف من إبداع هذا الكون العظيم ؟!

وأين وحدة الكتاب من روعة خلق الأرض والإنسان والأفلاك ؟! .

ماذا نقول عن هذا المُنْكِرِ الجهول حين يتبجح بالمصادفة العمياء ، ويلحد بخالق الأرض والسماء ؟

* * *

وإذا أردت أيها الإنسان أن تعرف شيئًا عن نظام هذا الكون الدقيق ، وتناسقه البديع ، وتآلفه المحكم ... فاستمع إلى ما قاله علماء الفلك في ارتباط أجزاء هذا الكون وروعة نظامه ، ودقة نواميسه .. لتستنتج بعقلك هل وجود هذا الكون من قبيل هذه المصادفة العمياء أم هو من إبداع اللَّه ﷻ ؟

وإليك طرفًا مما قالوه :

سبق أن ذكرنا في « ظاهرة الوحدة المتكاملة في الكون » أمثلة عن تآلف الأجزاء ، وروعة النظام لعوالم هذا الكون ، ونزيدك في بحثنا هذا أمثلة أخرى فاستمع إليها لتزداد إيمانًا ويقينًا :

١ – لو أن نسبة الهيدروجين والأوكسجين اختلفت في الماء عما عليه الآن ، لما كان الماء صالحًا للشرب ، ولقتل الناس العطش .

٢ – لو كانت قشرة الأرض أسمك مما عليه الآن بمقدار بضع أقدام لامتُصَّ ثاني أوكسيد الكربون والأوكسجين ، ولما أمكن وجود حياة .

٣ – ولولا قوانين الحرارة لما تبردت الأرض ، ولما كانت صالحة للحياة .

٤ – ولولا الجبال لتناثرت الأرض ، ولما كانت لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة .

٥ – ولولا أن في الأرض أرزاقها لما استطاعت الحياة أن تبقى .

٦ – ولو كانت مياه البحار حلوة لتعفن الماء الموجود فيها ، وتعذرت بعد ذلك الحياة على الأرض .

٧ – ولو كان الأوكسجين في الهواء بنسبة (٥٠ في المئة) بدلًا من (٢١ في المئة) فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عُرْضةً للاشتعال لأدنى شرارة ، وكان في ذلك هلاك الحياة ، ولو كانت نسبة الأوكسجين (١٠ في المئة) لتعذر أن يكون التمدن الإنساني على ما هو عليه اليوم .

هذه الظواهر الكونية وغيرها لا يمكن بحال أن تكون مصادفات ، بل لا بد لها من مدبر حكيم ، وخالق مبدع وضع الأشياء في مواضعها ، وقدرها حق قدرها .. فجاءت على هذا النحو البديع ، والنظام المحكم .

فهل بعد هذه الأدلة القاطعة يظن عاقل منصف يتحرى الحق والحقيقة ، أن هذا الكون بما فيه من نواميس ثابتة ، وأسرار عجيبة ونظم دقيقة محكمة ، وآيات باهرة مدهشة كان وليد مصادفة عمياء ؟

لا يقول بهذا إلا من سد على قلبه وعقله منافذ الهداية ، ونور الحق والإيمان ، وراح يتخبط في الحياة تخبط المهووس المجنون ، لا يدري ماذا يفعل ، ولا يدري ماذا يقول ؟ .

- ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

* * *

(٣)

شبهة هذا الكون أوجدته الطبيعة

هذه الشبهة التي يثيرها بعض الملاحدة لا تقل تفاهة وسقوطًا عن شبهة أن هذا الكون وجد مصادفة !! ..

إن هؤلاء الطبيعيين الماديين ، يعترفون في دعواهم هذه أن هذا الكون لا بد له من موجد ، ومما يدل على اعترافهم أنك لو سألتهم :

- من خلق السموات والأرض والشمس والقمر ؟

يقولون لك : الطبيعة .

- من أوجد هذا الكون وما فيه من عجائب وأسرار ؟

يقولون لك : الطبيعة .

- من دبَّر هذه الأمور الفلكية والحيوية والغريزية ؟

يقولون لك : الطبيعة .

إذن فالطبيعة في نظرهم هي إله العصر المزعوم ، فهي الموجدة وهي الخالقة .

وهؤلاء الطبيعيون يشتركون مع المؤمنين في قضية الموجد

للكون ، فهم يقولون : الطبيعة ، والمؤمنون يقولون : الموجد للكون هو اللَّه ﷻ .

ولست أدري كيف يعطون للطبيعة صفة الخلق والإيجاد ، وهي جماد أصم لا يتصف بعقل ولا تدبير ، ولا علم ولا إرادة ؟!

كيف يعطونها صفة الخلق والإيجاد ، وهي بكل ما فيها مسخرة للإنسان ؟!

كيف يعطونها صفة الخلق والإيجاد ، وهي خاضعة لقوانين دقيقة ، ونواميس ثابتة ؟!

فهل يصدق عاقل أن الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السماء ، والأشياء أبدعت ذاتها ، والحياة أوجدت نفسها ، فهي خالقة ومخلوقة ، وموجِدة وموجودة ؟ ..

فما مثل من يقول هذا إلا كمثل من يقول : إن هذه الأشياء التي بين أيدينا ، من أدوات وأثاث وفرش وآلات ... ما هي إلا صانعة ومصنوعة ، ليس للإنسان فيها يد ، وليس له في إظهارها تصميم ولا تدبير !! ..

فهل رأيت - أيها القارئ الكريم - في تاريخ الفكر والبحث العلمي هبوطًا في العقل ، وسخافة في المناظرة

والجدل ، أعظم من هذه السوفسطائية المتخبطة ، والغوغائية الجاهلة ؟! .

- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج : ٨] .

ومن المزاعم الباطلة التي يثيرها الطبيعيون الملحدون في تأليه الطبيعة ، قولهم : إن خلق الوجود يعتمد على صفات الأشياء من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويبوسة ، وملامسة وخشونة ... ويعتمد على قابلياتها وخصائصها من حركة وسكون ، ونُموٍّ واغتذاء ، وتزايد وتوالد ... فبها يتم الخلق والتكوين ، وبسببها تتألف العناصر ، وبواسطتها تظهر في الوجود حركة الحياة ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

فهذا الزعم في الحقيقة لا يقل سقوطًا وبطلانًا ، عن الزعم الذي يقول : إن الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السماء . . لكونه لا يستند على أساس علمي ، ولا يقوم على برهان عقلي ، ولولا أوكار إلحادية تروج له ، لما طرقت مسامعك هذه المزاعم والأضاليل !! ..

وإليك – أيها القارئ – زيف ما ادعوه ، وبطلان ما روَّجوه :

نحن نعلم أن من صفات الهاتف وخصائصه أنه ينقل صوت المتكلم البعيد إلى مسمعك ، فتفهم منه ثم ترد عليه كأنه واقف أمامك ، وأنه مؤلف من أرقام عديدة بواسطتها يتصل القاصي بالداني ، والقريب بالبعيد ، وأن له سماعة منها يكون الخطاب ، وبسببها يسمع المتكلم الجواب ! ..

فهل يصدق عاقل أن صفات الهاتف هذا وخصائصه وقابليته هو الذي أوجد الهاتف ، وأظهر هيكله وجهازه ، ونقله من حيز العدم إلى حيز الوجود ؟!

فلولا العقل الذي صممه ، واليد العاملة التي صنعته لما كان للهاتف وجود ، ولخصائصه ظهور ، ولهيكله حقيقة !! ..

وهاكم مثالًا آخر يزيد الأمر وضوحًا : « نحن نعلم أن السيارة لا يمكن أن تمشي بدون محركها الآلي والبنزين ، فإنَّ تحرك أجزاء المحرك واحتراق البنزين ، والقوة الدافعة في مستودع الانفجار ، كل هذه الأمور خصائص وقابليات وطبائع لتَحَرُّكِ السيارة وانطلاقها .

« فهل يصدق عاقل أن قابلية الاحتراق ، وخاصية الانفجار وقوانين الميكانيكا هي التي خلقت المحرك ، وأبدعت السيارة ؟ » [١] .

فلولا العقل الذي صمم المحرك ، والأيدي العاملة التي صنعته لما وجدت السيارة ، ولما ظهرت حقيقتها للناس ؟! .

وقس على ذلك بقية الوسائل الحضارية والاختراعات الميكانيكية والكهربائية في عصر العلم والاختراع اليوم ..

من هذين المثالين السابقين ، يتبين لكل ذي عينين أن القابلية والخصائص التي اعتمد عليها الطبيعيون في خلق الشيء وإيجاده ، ما هي في الحقيقة إلا وهم ظاهر وسراب خادع .. لتضليل أصحاب العقول الفارغة ، والنفوس المتحللة الضعيفة ، عسى أن يجدوا مسلكًا ولو كان ملتويًا لإشاعة الكفر والإلحاد ، وترويج الزيغ والضلال : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٨٨] .

ولإيضاح أن هذا الكون مخلوق للَّه تعالى ، وأن

---

(١) من كتاب « الوجود الحق » للدكتور هويدي .

القابليات والخصائص لا تخلق ولا تبدع ، نضرب المثل التالي :

نضع حبة في التراب ، ونسقيها بالماء ، فتنتفخ وتنفلق فيظهر منها الرُّشيم ، ويندفع منها الجذر إلى الأسفل ، والساق إلى الأعلى ، وتنشأ الأوراق ، فالأزهار ، فالثمار ، وتكون الحبة قد أنتجت تفاحًا مثلًا .

فالقابلية التي كانت في الحبة هى : الانتفاخ ، والانفلاق ، وظهور الرُّشيم ، واندفاع الجذر ... ولولا هذه القابليات الموجودة في الحبة ، لما نشأت عنها الثمرة .

فلنأت إلى هذه القابلية بالذات ، ونبحث عن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء ، فمن الذي نفخها وفلقها ؟

لو كان للحبة عقل وتدبير لقلنا إن عقلها هو الذي هيأ لها ذلك ، ولو أن الماء هو الذي نفخها وفلقها لأمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه .

وإذا كانت الحبة بذاتها - جدلًا - انتفخت وانفلقت ، فلماذا لم تجمد وتتقلص بدل أن تنتفخ وتنمو ؟ ولكي

يحصل التكاثر والبقاء ، يحتاج الأمر إلى عقل وإدراك ، ومنهاج مرسوم من قبل تلك البذرة ، والبذرة لا تملك شيئًا من ذلك .

فكيف حصلت إذن ثمرة بعينها ؟ بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟ وكيف وجدت القابليات والخصائص فى صميم كل بذرة منها ؟ .

إن بذرة الأجاص ، وبذرة المشمش حين توضعان في التراب تنتج كل واحدة منها ثمرًا يختلف عن الآخر ، بلونه وطعمه ورائحته ، مع أنه يسقى بماء واحد ، ويزرع في أرض واحدة .

ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ، ولا لجذر الشجرة إدراك ، فكيف كان الجذر يمص الماء ، ويصطفي ذرات بعينها وينضح النسغ ، ويسوقه إلى الثمر ، وينشئ الحلاوة ؟ .

كل ذلك يجعلنا نسأل عن السبب ، ونحن نعلم أن القابلية ليست إلا صفة من صفات الشيء ، فكيف تخلقه ؟ وأن الحبة بالنسبة للنبات جماد لا يعقل فكيف تنوعه ؟ [1] .

وبعد هذه التساؤلات الكثيرة فلا بد لنا - في نهاية

(١) من كتاب « الوجود الحق » للدكتور هويدي .

المطاف – إلا أن نقر بالمسبب الأول ، والمبدع الحقيقي وهو اللَّه سبحانه الذي أبدع الوجود من العدم ، وجعل من كل مخلوق قابليته واستعداده ، فهو خالق الحبة ، وفالق النوى ، ومخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، وهو على كل شيء قدير ، وصدق اللَّه العظيم القائل في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥] .

وهكذا رأيت – أيها القارئ الكريم – أن الطبيعة إله العصر المزعوم ، لم تثبت أمام البرهان العقلي ، والنقد العلمي ، وليست بالنسبة للمخلوقات سوى صفاتها وقوانينها التي تجري عليها ، وأن صفات الأشياء لا توجدها ، وخصائص الموجودات لا تخلقها ... إذن لا بد لنا إلا أن نقر في النهاية بوجود خالق مبدع حكيم وهو اللَّه ﷻ .

* * *

(٤)

شبهة مَنْ خلق اللَّه ؟

هذه الشبهة تطرق أسماع الكثير في كل مرة وفترة ، وتتردد على ألسنة صنفين من الناس :

الصنف الأول : صنف الأطفال حين يكونون في مرحلة « السن السَّؤول » ، فيتردد على ألسنتهم مثل هذا السؤال ، فلا يجدون بدًّا إلا أن يسمعوا من الذين يشرفون على تربيتهم الجواب المقنع الصحيح .

الصنف الثاني : صنف الملحدين المنكرين الذين يثيرون مثل هذه الشبهات لغاية خبيثة في نفوسهم ، عسى أن يوقعوا في شراك ضلالهم وإلحادهم ضعاف النفوس ، وفارغي العلم والعقول .

والرد على هذه الشبهة يكون من وجوه :

١ – هذا السائل عمن خلق اللَّه ، يناقض نفسه بنفسه من حيث يعلم أو لا يعلم ، فكيف يقر على أنه خالق ، ثم يسأل عمن خلقه ؟ فهل يقبل العقل أن يكون اللَّه خالقًا

ومخلوقًا في آنٍ واحد ؟ وهل يمكن أن يتصف اللَّه بالمخلوقية ، بعد أن أقررنا أنه خالق ؟ ألم يعلم هذا السائل أن المخلوقات من صفات الحوادث ، فكيف نصفه بهذه الصفة ، وننسب إليه ما لا يليق به ؟ تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٢ - لو فرضنا أن اللَّه سبحانه قد خلقه خالق ، وأن الخالق قد خلقه خالق ... سينتهي بنا الأمر حتمًا إلى الدور والتسلسل .

أما الدور فباطل لما يترتب عليه من التناقض والتهافت ، مثال ذلك أن تقول : إن زيدًا أوجد عمرًا ، وعمرًا أوجد زيدًا ، فزيد توقف وجوده على عمرو ، وعمرو توقف وجوده على زيد ، وبهذا المفهوم يكون عمرو سابقًا لأنه موجد ، ويكون مسبوقًا لأنه مُوجَد ، والشيء الواحد لا يكون سابقًا ومسبوقًا في آنٍ واحد للتناقض الصريح ، والشيء المستحيل ، إذن فالدَّور مستحيل ، ومنه قول الشاعر :

مسألة الدور جرت
بيني وبين من أحب

لولا مشيبي ما جفا
لولا جفاه لم أشب

وأما التسلسل فبطلانه أشد ، لأنه يقتضي ألا يكون هناك خالق ، لتوقف وجود الخالق على الذي قبله ، والذي قبله على الذي قبله ... إلى ما لا نهاية ... فيلزم من هذا التسلسل اللانهائي أن لا خالق لهذا الكون ، وهذا مستحيل للظواهر الكونية التي تدل على اللَّه كما مرَّ معك ، فثبت بطلان التسلسل لثبوت وجود اللَّه سبحانه .

ومما يوضح لك بطلان التسلسل هذا المثال : تعلَّمت علم النحو من أستاذك ، وأستاذك تعلم من أستاذه ... وهكذا إلى أن يصل التسلسل إلى واضع علم النحو ، وهو أبو الأسود الدؤلي ، فلو افترضنا أن السلسلة لتعليم النحو لم تنته إلى ما لا نهاية ... فالعقل يحكم أن علم النحو لم يضعه واضع ، وإذا كان لم يضعه واضع ، فمعنى ذلك أن هذا العلم غير موجود ، ولما كان موجودًا إذن لا بد من واضع قد وضعه ... والذي نخلص إليه أن التسلسل باطل لكونه لا يستند على دليل عقلي ، ولا برهان منطقي .

٣ – لما كانت هذه المخلوقات التي نراها محدثة ، ونحن نعلم من طبائعها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها ، بل لا بد لها من موجِد ، عرفنا أن موجدها هو اللَّه تبارك وتعالى .

ولما كان كمال الألوهية يقتضي عدم احتياج الإله إلى غيره ، بل إن من صفاته سبحانه قيامه بنفسه ، عرفنا أن اللَّه تبارك وتعالى موجود بذاته ، وغير محتاج إلى من يوجده ، فكل من يسأل عن خالقٍ للَّه ، وموجد له يكون قد وصف اللَّه بالعجز والنقص ، وحاجته إلى غيره ، وتعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٤ – إن العقل البشري محدود التصور والطاقة والمعرفة ، فإن كان عاجزًا عن إدراك كنه الأشياء الموجودة كالجاذبية ، والمغناطيسية .. وغيرها ، فإنه أعجز عن أن يعرف شيئًا عن كنه الذات الإلهية وماهيتها ؛ لأن المنطق يقتضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وكل ما يستطيع العقل أن يعرفه عن اللَّه ، يبقى في حدود الوجود والوحدانية وباقي الصفات .. أما أن يتورط بأكثر من ذلك ، فيكون كمن يرقم على ماء ، وينفخ في رماد بدون

فائدة ولا جدوى .

ولكي نصور حدود العقل البشري في معرفة الذات الإلهية نورد هذه القصة :

يروى أن رجلا مرتابًا ، مرَّ برجل مؤمن على ساحل البحر ، فدعاه إلى الإيمان ، فأبى إلا أن يرى اللَّه على حقيقته جهرة ، فانتحى المؤمن جانبًا وحفر حفرة صغيرة ، وأخذ يصب فيها من ماء البحر ، والماء يطفح من جوانبها ، واستمر على ذلك حتى عجب منه صاحبه ، فأقبل عليه قائلًا : ما تفعل ؟ قال : أريد أن أنقل البحر إلى هذه الحفرة !! .. قال : وهل يفعل ذلك عاقل ؟ وهل تستوعب هذه الحفرة مياه البحر ؟ قال المؤمن : وهل يستوعب هذا الإنسان الصغير الخالق الكبير ؟ فإذا كان لا يستوعب فكيف تراه ؟ ..

والقرآن الكريم أكد في أكثر من آية ، استحالة الرؤيا الإلهية في الدنيا ؛ لأن اللَّه سبحانه لا تنطبق عليه صفات الحوادث ، ولا ظواهرها وأعراضها . من هذه الآيات :

– ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ

ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ؛ لاستحالة اشتمال العين على الرؤية .

- ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

وفيها دلالة إلى أن الخالق سبحانه لم يحجب نفسه ضنًّا على المخلوق ، بل إن حدود عقل المخلوق في معرفة الذات الإلهية حجبه عن الرؤية .

- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وفيها دلالة إلى أن اللَّه سبحانه لا يماثل الأشياء ولا تماثله ، ولا يشبهها ولا تشبهه ، فلا يمكن للذات الإلهية بحال أن تُدرك إدراك الأشياء ، وأن تعرف حقيقتها كما تعرف الأشياء .

ولقد أوصى الرسول - صلوات اللَّه عليه - أمة الإسلام بأن يفكروا في خلق اللَّه ، وأن لا يتفكروا في ذاته ، حتى يعصموا أنفسهم من التردي في مهاوي الضلالة ، وينزهوا اللَّه عما لا يليق به .

روى أبو نعيم في الحلية ، والأصبهاني في الترغيب

والترهيب وأبو الشيخ وابن أبي شيبة عن ابن عباس ﷺ أن قومًا تفكروا في اللَّه ﷻ ، فقال النبي ﷺ : « **تفكروا في خلق اللَّه ، ولا تفكروا في اللَّه ، فإنكم لن تقدروا قدره** » ، وقد جاء في الأثر : « تفكروا في الخلق ، ولا تفكروا في الخالق ، فإنه لا تحيط به الفكرة » .

وقال علماء التوحيد : « كل ما خطر ببالك فاللَّه خلاف ذلك » .

وصفوة القول : إن للعقل البشري طاقة معلومة ، وقدرة محدودة في إدراك الذات الإلهية ومعرفة حقيقتها ؟! ..

كيف لا ؟ وقد عجز الإنسان - كما مرَّ - عن معرفة كنه ذاته في النفس والعقل والروح ، وعن معرفة كثير من حقائق الكون المادية من كهربية ، ومغناطيسية ، وأمواج أثيرية ، وما عرف هذه الأشياء إلا عن طريق الظواهر والآثار ، فكيف يطمع هذا الإنسان المحدود العقل والتفكير ، في معرفة حقيقة الذات الإلهية ، وهو يعترف أن العلم الذي وصل إليه أقل من القليل ، وأن الذي يجهله أكثر من الذي يعلمه ؟

يقول أفلاطون : « علمت أني لا أعلم شيئًا » .

ويقول نيوتن : « إن علمي بحقائق الأشياء أقل من علم الأطفال بما في أعماق البحر » .

ويقول وليم جيمس : « إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر » . وصدق من قال :

قل للذي يدعي في العلم معرفة
عرفت شيئًا وغابت عنك أشياء

وصدق اللَّه العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقبل أن أختم هذا البحث أريد أن أبين لكل من آمن باللَّه أن شياطين الإنس والجن يقفون من المؤمن موقف التضليل والتشكيك ، لما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ، ولما يثيرونه من شبهات وأضاليل ؛ فمن هذه الشبهات التي يثيرونها : **هل يستطيع اللَّه سبحانه أن يخلق إلهًا مثله ؟** .

تصورًا منهم بأن المسؤول عن هذا إذا أجاب بنعم

احتجوا بذلك أنه ليس لهم أن يكفِّروا مَن أشرك مع اللَّه غيره ، وإن أجاب بلا فقد أسندوا إلى اللَّه العجز ، وذلك دليل على أنه ليس بإله ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

قبل أن نردَّ على مزاعم هؤلاء المشككين نوضح الحقائق التالية : من الأمور المسلَّم بها عقلًا وشرعًا أن اللَّه سبحانه متصف بصفتي الإرادة والقدرة ، وأن هاتين الصفتين تتعلقان بالممكنات فقط ، أما الواجب والمستحيل فلا شأن لهاتين الصفتين بهما .

ونقصد أنهما متعلقان بالممكنات أي أن الإرادة والقدرة متعلقتان بكل ما هو ممكن عقلًا ، وثابت شرعًا كخلق الكون والحياة والإنسان ، وكل ما يتصل بالكائنات حيِّها وجامدها ، علويِّها وسفليِّها ، إنسها وجنِّها ...

ونقصد أنهما غير متعلقتين بالواجب والمستحيل أي إن الإرادة والقدرة غير متعلقتين بكل ما هو واجب على اللَّه عقلًا وشرعًا كوجوده ، وقدمه ، وبقائه ، ووحدانيته ... سبحانه ، وغير متعلقتين أيضًا بكل ما هو مستحيل على اللَّه عقلًا وشرعًا كوجود إله آخر معه ، ومشابهته تعالى للحوادث ...

ولنضرب على ذلك مثلًا : اللَّه سبحانه متصف بالوحدانية ، ووحدانيته واجبة عليه عقلًا وشرعًا ، فحينما يأتي إنسان ويقول : هل يقدر ربك أن يخلق إلهًا مثله ، فنقول له : هذا تناقض ، كيف تكون الوحدانية واجبة عليه وقد ثبتت بالأدلة العقلية والشرعية ثم يطرح سؤاله المتهافت المتناقض ؟

إذ ما معنى أنه قد أوجد إلها مثله واجب الوجود ، والإله الواجب الوجود يستحيل أن يكون مسبوقًا بعدم ، ويستحيل أن يكون عاجزًا ، ويستحيل أن يخلقه غيره ، ويستحيل أن يطرأ عليه الحدوث ..

فالذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن القدرة والإرادة تعلقهما بالممكنات فقط ، أما ما كان واجبًا عليه سبحانه ، وما كان مستحيلًا في حقه تعالى فلا شأن لهاتين الصفتين بهما ..

وهذا التساؤل يعود في حقيقته - كما يقول الدكتور البوطي - إلى حمق من نوع عجيب .

« فمن المعلوم أن الذي يقول : هل يستطيع اللَّه سبحانه أن يخلق إلهًا مثله ؟ .

ينبغي أن يتصور معنى سؤاله ، ولكي يتصور معناه ينبغي أن يكون له معنى ، بأن يتعلق تساؤله في الخلق والإيجاد بقسم الممكنات فقط .

فأما إذا لم يكن للسؤال معنى فلا يمكن أن يكون له صورة في ذهن السائل ، وإذا كان كذلك ، فإن السؤال لا يسمى حينئذ سؤالًا إلا من حيث الصورة والأسلوب ، وأما من حيث الموضوع والمضمون فهو هذيان ، والهذيان لا جواب عليه ، لا عجزًا عن الإجابة ، ولكن لأن الإجابة لا تكون إلا على سؤال ، والسؤال لم يولد في الحقيقة بعد ..

إن الذي يقول لك : هل تتكرم بأن تكون في هذه اللحظة غائبًا عنى مُشَاهدًا أمامي ؟ هو فى الحقيقة لا يقدم لك أي سؤال أو رجاء يطلب الإجابة عليه ، لأنه هو نفسه لا يعلم ما يريد بالضبط ، وليس في ذهنه أى صورة لهذا الذي يريد .. إن الذي يستوقفك ليقول لك : هل يستطيع اللَّه أن يخلق إلهًا مثله أو شخصًا آخر من هذا القبيل .. ليس بأقل هذيانًا ممن يقول : هل تتكرم بأن تكون في هذه اللحظة غائبًا عني مشاهدًا أمامي ؟ إذ الهذيان نفس

الهذيان ، والسخف عين السخف !! ..

أجل .. إن مثل هذا السؤال قد يكون له معنى متخيَّل وهمي عندما يصدر السؤال من طفل صغير عندما يكون في مرحلة السن السؤول ، وعندئذ فلا بد من الحكمة والتلطف والإقناع المناسب ..

لا بد لك من أن تضع أمامه صورة الإجابة وإن لم تكن في الحقيقة جوابًا ، كما وضع أمامك صورة السؤال وإن لم يكن في الحقيقة سؤالًا ، كأن تقول له : « اللَّه قادر يا بني على أن يخلق كل شيء .. ولكن شريك اللَّه تعالى ليس شيئًا ؛ لأنه محال والمحال لا يسمى شيئًا » (١) .

ومن المعلوم أن الذين يثيرون مثل هذه التساؤلات هم من أصحاب المذاهب المادية الملحدة ، والعقائد الضالة الزائفة .. هدفهم من هذه الاستثارات وإلقاء الشُّبَه .. زعزعة الإيمان باللَّه في قلوب الزمرة المؤمنة من الشباب ..

فعلى الجيل المؤمن أن يحذر أولئك المهوسين الملحدين ..

(١) من كتاب « كبرى اليقينيات الكونية » للدكتور البوطي (ص ١٤٥ ، ١٤٦) مع بعض التصرف .

الذين يجهدون ليلًا نهارًا لزرع التشكيك والتضليل في المجتمعات الإسلامية ، ولكن القلب الموصول باللَّه ، والنفس الموقنة المطمئنة بإبداعه وعظمته سبحانه .. لا يمكن أن تتأثر بتضليل الملحدين ، ولا بتشكيك الضالين .. وسوف يبقى الإيمان يَمانيًا في نفوس المؤمنين إلى قيام الساعة ..

فمن اعتراه شيء من هذا ، أوتحسس بشبهة في نفسه أثارها ملحد فليتذكر أنه مخلوق للَّه ، وأن اللَّه سبحانه منزه عن صفات المخلوقين ، ليستعذ باللَّه ، وليقل آمنت به ، فتذهب عنه هذه الخواطر والأفكار فإذا هو مبصر﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١، ٢٠٢] .

ولقد علَّمَنا الرسول ﷺ أن الإنسان إذا اعتراه شيء من هذه الأحوال والهواجس فليقل آمنتُ باللَّه ، وليقرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيذهب ذلك عنه .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه : « **لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خَلْق**

اللَّه ، فمن خلق اللَّه ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنتُ باللَّه » .

وفي رواية : « **فليقل قل هو اللَّه أحد** » .

فالعلاج إذن للتخلص من هذه الخواطر والأحوال ، هو الاستعاذة باللَّه ، والتلفظ بآمنتُ باللَّه ، وتلاوة قل هو اللَّه أحد ، والانشغال بأمور أخرى ، فيذهب ذلك عنه بإذنه تعالى ..

* * *

(٥)

شبهة انحدار الإنسان من قرد

من الأمور التي يروج لها الملحدون في هذا العصر ، أن هذا الإنسان الحالي الذي نراه الآن ، لم يخلق بهذه الصورة التي هو عليها ابتداءً ، وإنما تدرَّج في الخلق من جرثومة حية ، ثم تطوَّر إلى حيوان صغير ، ثم ارتقى شيئًا فشيئًا ، حتى أصبح أشبه بالإنسان ، ثم تطور إلى إنسان كامل .

وقبل أن أشرع في إثبات بطلان هذه الشبهة ، والرد عليها من الناحية العلمية ، والناحية الدينية ، يحسن بي أن أبين للقارئ النظرية التي استندت عليها ، ومن هم أصحابها ومخترعوها ؟ .

أما النظرية التي استندت عليها ، فهي نظرية النشوء والارتقاء ، وتتلخص بما يلي :

« إن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات ، بدأت على ظهر هذه الأرض بجراثيم حية قليلة ، تطورت من حال إلى حال تحت تأثير عوامل طبيعية ، حتى وصلت إلى هذه

التنوعات ، التي نراها وعلى رأسها الإنسان » .

أما أصحاب هذه النظرية ومخترعوها فهم : العالم « لامارك » الذي أسس هذه النظرية في الأصل ، والعالم « تشارلس دارون » الذي اعتمد في نظريته على أبحاث « لامارك » وأدخل بعض التنقيحات عليها ، واليوم تنسب هذه النظرية إليه ، وتعرف باسمه لأنه هو الذي طوَّرها ، وحمل لواءها ، وبذل عمره في سبيل دعمها وإظهارها ، ووجد بعد « دارون » علماء ممن أيدوا نظريته ، ونادوا بها ، وأدخلوا بعض الآراء والتعديلات عليها .

ولسنا الآن بصدد بيان هذه الآراء ، وسرد هذه التعديلات ؛ لكون النقطة التي نبحث فيها هي : هل الإنسان انحدر من قرد كما يزعم أصحاب نظرية دارون ؟ وما هو موقف العلم والدين من هذا الادعاء ؟

أما موقف العلم منها فإن العلماء المختصين في علم الأحياء قد أسقطوها ، وأتوا على بنيانها من القواعد ، وأقاموا الدليل على بطلانها .

وها أنذا سأنقل بأمانة ودقة ما قاله هؤلاء العلماء عن هذه

النظرية ، وسأختزل ما أمكن ، وأوضح الأسلوب ما استطعت ، حتى يفهم شبابنا وشاباتنا هذه الحقائق بجلاء ووضوح ، وعلى اللَّه قصد السبيل ، ومنه نستمد العون .

وإليكم ردود العلماء لهذه النظرية ، وأظهر أدلتهم في بطلانها :

١ – وجود الانتقالات الفجائية في بعض الحيوانات :

إن نظرية « دارون » تفترض حدوث تغييرات بطيئة في الكائنات الحية ، بينما نشاهد في بعض الحيوانات حدوث انتقالات فجائية في كل طور من أطوار حياتها ، فما العلاقة العجيبة بين دودة القزِّ التي تدبُّ على الأرض ، وبين انتقالها الفجائي إلى فراشة تطير بأجنحتها محلِّقة في الفضاء .

يقول جوستاف جوليه في كتابه « على أطلال المذهب المادي » (ص٨٦) : « إن الحشرة بظهورها من أقدم عهود الحياة الأرضية ، وثبات أنواعها في جميع الأحوال بعد بروزها ، تناقض ما هو مسلَّم به من التحوُّلات البطيئة – كما تقول نظرية دارون – وتقيم هذه الحشرة الدليل ضد هذه النظريات ، الأمر الذي عجزت نفس هذه النظريات

عن تفسيره ، هو غرائزها الأولية المحيِّرة للعقل » .

يقول الأستاذ قيس القرطاس في كتابه « نظرية دارون بين مؤيِّديها ومعارضيها » (ص١٠٠) : « وفي سنة ١٧٩١م نشأ في قطيع أحد الرعاة الأمريكيين خروف قصير الأرجل ، إذن فهذه الطفرات لم تحقق المشكلة ، ولم تحقق الآمال التي عقدها زعماء التطور ، وكان الأحرى بهم أن يعترفوا بخطأ نظريتهم » .

وأطلعني أستاذ مختص بمادة العلوم ، أنه ظهرت ذات مرة دجاجات خالية من الريش في العنق ، بين مجموعة من الدجاج العادي ، واستمرت هذه الصفة مع تعاقب الأجيال .

ألا يدلُّ عامل الانتقالات الفجائية ، أن هذه المخلوقات الحيَّة خلقت ابتداءً من لدن حكيم عليم ، وأنه ليس لعامل البيئة والتطور أي أثر في الخلق والتكوين ؟ .

٢ – وسائل الدفاع عن النفس :

إن لكل حيوان ، وحتى الضعيفة منها ، وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس ، فوسيلة الدفاع عند الطيور مثلًا

الأجنحة ولولا هذه الوسيلة لتمكنت أغلب الحيوانات المتوحشة من القضاء على الطيور ، فإذا أرادت نظرية دارون أن تطور الحيوان الزاحف إلى طير ، أو تطور الطير إلى حيوان زاحف بصورة تدريجية بطيئة ، فمعنى ذلك أنها تحرمه من وسيلة الدفاع عن نفسه والبقاء على وجه الأرض ، وفي هذا هلاكه واستئصاله .

يقول « أدمون برييه » مدير الآثار الحيوانية في باريس : « أخذ البط يعوم لأنه وجد لنفسه أرجلًا مكفَّفة « أي ذات كفِّية » تصلح للعوم ، فهذه الحيوانات قد أعدت من قبل للعوم ، فتكونت لها أرجل مغشَّاة على مر السنين » [١] .

يقول الدكتور « حليم عطية » : « إن هناك مسألة منطقية بسيطة .. وهي معرفة كيف استطاع المخلوق الذي اعتبره التحوليون الحلقة المفقودة .. أن يعيش بين الحيوانات الضارية التي تحيط به ؟ فإن أصحاب النشوء والارتقاء يقولون : إن هذا المخلوق كان أضعف عقلًا من الإنسان الحالي ، فكيف

---

(١) من كتاب « نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها » لمؤلفه الاستاذ قيس القرطاس (ص ١٠٢) .

يمكَّنُ لمخلوق ضعيف الجسم ، ضعيف العقل وحوله الأسد والفيل والدبُّ والنمر وغيرها من الحيوانات المفترسة ؟ (١) .

ألا يدل هذا على أن المخلوقات خلقت ابتداءً من لدن حكيم عليم ، والتي منها خَلْقُ الإنسان الذي خلقه اللَّه على أحسن تقويم ؟ .

٣ – انتقال الصفات الوراثية :

إن طريقة انتقال الصفات الوراثية من السلف إلى الخلف ، ومن الآباء إلى الأحفاد .. تقف من نظرية دارون في تناقض ظاهر وتعارض تام .. بل أصابتها برَجَّة عنيفة أتت على بنيانها من القواعد ، وإليك أقوال العلماء المختصين بعلم الوراثة والأحياء في الرد على النظرية :

يقول « كريسي موريسون » في كتابه « العلم يدعو إلى الإيمان » (ص ١٤٤) : « إن القائلين بنظريَّة التطور لم يكونوا يعلمون شيئًا عن وحدات الوراثة .. كل خلية ذكرية كانت أو أنثوية تحتوى على صبغيَّات أو « كروموزومات » تحمل المورِّثَات التي تعتبر العامل الرئيسي فيما سوف يكون

(١) من كتاب « الإنسان » للمرحوم الأستاذ العقاد .

عليه كل كائن حي أو إنسان .. وتبلغ هذه الصبغيات من الدقة أنها – وهي المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعًا التي على سطح الأرض ، من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية ، وألوانها ، وأجناسها – لو جمعت كلها ووضعت في مكان واحد ، لكان حجمها أقل من حجم الكشتبان ... وهذه الصبغيَّات الدقيقة هي التي تحفظ التصميم وسجلَّ السلف ، والخواص لكل كائن حي ، وهي تتحكم تفصيلاً في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر .. لكل نبات تمامًا ، كما تقرر الشكل والقشر والشعر والأجنحة .. لكل حيوان ، وكذلك الإنسان » .

وبيَّن هذا العالم أن البيئة ليس من قدرتها أن تؤثر التأثير البالغ على المخلوقات الحيَّة بالمقدار الذى يؤدي إلى التطور ، فيقول : « والرجال لا تنمو لحاهم أكثر من قبل لأنهم يحلقونها ، والقطط التي بلا ذيول في جزيرة « مان » لم تتطور هكذا هناك لأن أحدًا قد قطع ذيل قطة ، كلا بل إن صبغيَّة ما خاصة بالذيل قد فقدتها تلك القطط » .

إذن فالمورِّثات الموجودة في خلية الذكر أو الأنثى هي التي جعلت المخلوق بهذا الشكل ، لا من تأثير البيئة ،

ولا من عامل التطور .

ويتحدث عن جوزة البلُّوط ومراحل نموِّها فيقول :

« وفي خلال مئات السنين ، قد بقي في ثمار البلُّوط التي لا تحصى نفس ترتيب الذرَّات تمامًا ، وهو نفس الترتيب الذي أنتج أول شجرة بلوط منذ ملايين السنين » .

وأفادني أستاذ مختص بالعلوم ، أن عامل الوراثة هو الذي ينقل الصفات الوراثية من السلف إلى الخلف ، وليس لعامل البيئة والتطور أي تغيير أو تأثير ، واستشهد بالتجربة التي أجريت على الفئران ، فقال : « قد أجرى علماء الأحياء تجربة على الفئران ، فقطعت أذنابها لفترة عشرين جيلًا ، وظلت تعطي فئرانًا بأذناب » .

ويؤكد عالم الوراثة « دوبزهانسكي » عدم سيطرة البيئة على الأثر الوراثي فيقول : « إن النظرية القائلة بأن الاختلاف العضوي ما هو إلا استجابة الكائن الحي لعوامل البيئة ، هي من أهم النظريات التي سببت التطور ، ومع ذلك فلا وجود لشكل من أشكال الحياة يتمتع بميزة التكيُّف مع البيئة ، ولا وجود لأي كائن يجمع بين الطيران

كالطير ، والمعيشة في البرِّ كاللبونات ، والمعيشة في البحر كالأسماك ... » .

والذي نخلص إليه بعد ما قدمناه أن قانون علم الوراثة قد زعزع أركان نظرية التطور ، ونسفها من القواعد ؛ لكون هذه الصفات الوراثية مخلوقة مع خلق الكائنات الحية ، منذ أن أبدع اللَّه هذا الكون ، وخلق هذه الحياة ، فليس لعامل البيئة أو التطور أي تأثير ، كما يدَّعي أنصار دارون .

٤ – وجود الأنواع المتباينة :

ما دام يوجد على الأرض ملايين من الحيوانات متعددة الأنواع ، متباينة الأصناف ، والتي منها الطيور والأسماك والثعابين والسلاحف والتماسيح والثدييات ، ومنها الديدان والحشرات ، ومنها الحيوانات المزودة بالرئات ، والمزودة بالخياشيم ، ومنها المهيأ للعيش في الصحراء أو العيش في المناطق الباردة ... ومنها .. ومنها ... فكل هذه الأنواع والأصناف من الحيوانات تعطينا دليلًا قاطعًا أن عملية التطور والنشوء غير صحيحة ، ولو كانت صحيحة لما شاهدنا هذه الأنواع المتباينة ، والأصناف المختلفة من الحيوانات ولسار

التطور على نسق واحد من الترقِّي حتى يصل إلى ذروة الكمال ! .

٥ – لو كانت نظرية التطور صحيحة لانعدمت الحياة :

أثار العالم « كريسي موريسون » في كتابه : « العلم يدعو إلى الإيمان » لغزًا كبيرًا حول سير الحياة عن طريق التطور ، فافترض أن بداية الحياة خلية واحدة ، ثم تساءل هل تتحول هذه الخلية إلى نبات أم حيوان ؟ فاذا تحوَّلت إلى خلية نباتية سبَّب ذلك انعدام « ثاني أوكسيد الكربون » (غاز الفحم) ، واذا تحوَّلت إلى خلية حيوانية سيسبب انعدام « الأوكسجين » وبالتالي يؤدى ذلك إلى انعدام الحياة .

٦ – ردُّ الأستاذ فريد وجدي رحمه الله :

قال المرحوم « محمد فريد وجدي » في كتابه « دائرة المعارف » (جـ ٤ ص ٣١) ما معناه : إن أكبر الاعتراضات على مذهب « دارون » تنحصر في ثلاثة أمور وهي :

١ – عدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع كان في الأحياء الأرضية منذ ألوف السنين ، فلم يثبت في أي عصر من العصور أن عصفورًا تحول إلى ديك ، أو أن قردًا تطور

إلى إنسان ، فلو حدث شيء من هذا لظل مدى الدهر من الأخبار المتواترة ، ولتكرر حدوثه في عدة عصور .

٢ – عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة لدعم مذهب التطور ، كأن يوجد مثلًا زاحف في طريق تطوره إلى طير .

٣ – عمر الأرض لا يكفي لإثبات نظرية التطور ، لطول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الأحياء ، ولقد قدر البعض – ممن يدعمون مذهب التطور – أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى في عملية التطور يحتاج إلى ملايين السنين .

٧ – أشهر العلماء الذين نقدوا مذاهب التطور :

إن الذين نقدوا مذاهب « دارون » في التطور أكثر من أن يحصوا ، وهم من العلماء المختصين في علم الأحياء ونقدهم هذا لم يكن عن تعصب ذميم ، وهوى متبع ، وإنما كان بلسان العلم والمنطق والبرهان .

وإليكم أسماء أشهرهم :

١ – « **كريسي موريسون** » وهو عضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي في الولايات المتحدة سابقًا ، ورئيس

المعهد الأمريكي بمدينة « نيويورك » وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي .. لقد ألف هذا العالم كتابًا سماه « الإنسان لا يقوم وحده » ردًّا على دعاة التطور .

٢ - « **جايمس كونانت** » : الرئيس السابق لجامعة « هارفارد » ، لقد كتب ردودًا كثيرة ينقض فيها مذهب التطور ، فارجع إلى كتاب « نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها » (ص١٥٥) لتجد فيه ردوده الكثيرة على نظرية التطور .

٣ - « **وولترادوارلاميرتس** » أستاذ بجامعة كاليفورنيا « بلوس أنجلوس » كتب ردًّا وافيًا في نقض نظرية التطور ، فارجع إلى الرد في كتاب « اللَّه يتجلى فى عصر العلم » .

٤ - البروفسور « **جراهام كانون** » : كتب بحثًا شاملًا في الرد على النظرية الدارونية ، فارجع إلى كتاب « نظرات في تطور الكائنات الحية » (ص ٤٠ - ١٦١) ، تجد فيه ما يشفي الغليل .

٥ - العلامة « **فون باير** » : مؤسس علم الأجنة ، وهو من أقطاب الفيزيولوجيين ، وعلم المستحاثات ، فمما يقوله

في كتابه « دحض المذهب الداروني » :

« إن الرأي القائل بأن النوع الإنساني من القرَدَة السيمائية (الغوريلا ، والشمبانزي ، والقردة العليا) هو أدخل رأي في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان ، وجدير بأن ينقل إلى أخلاقنا جميع الحماقات الإنسانية ، يستحيل أن يقوم دليل على هذا الرأي المضحك من جهة المكتشفات الحفريَّة » ، وإذا أردت أن تعرف - أيها القارئ - المزيد من آرائه فارجع إلى كتاب « على أطلال المذهب المادي » (ص٨٥ - ٩٠) تجد ما فيه الكفاية .

٦ - الدكتور « **جوستاف جوليه** » : وهو من كبار علماء فرنسا ، ألَّف كتابًا اسمه « من لا شاعر إلى شاعر » يستعرض فيه كل الآراء التي ترد على نظرية التطور .

٧ - العلامة « **إيلي دوسيون** » : وهو من كبار الفزيولوجيين وعلم الأحياء ، ألَّف كتابًا أسماه « اللَّه والعلم » يقاوم فيه المذهب الداروني بشدة ، ويرد على نظرية التطور بالأدلة العلمية التي لا تقبل الجدل ولا الشك .

ولولا الإطالة لأتينا على ذكر عشرات غيرهم من العلماء

الذين نقدوا مذهب التطور ، ولكن ما ذكرناه فيه الكفاية وغاية الإقناع .

٨ – اكتشافات جديدة تزلزل النظرية من أساسها :

١ – ذكرت « مجلة العربي » في عددها ٢٠٤ (ص١١١) ما يلي :

« يقول علماء الأنثربولوجيا (علم الإنسان) أن القرد المسمى (أوسترالوبيثكوس) (قرد الجنوب) ، والذي عُثر على جمجمة له عام ١٩٢٤م في جنوب أفريقية ، والذي اعتبره بعض العلماء كجد أول للإنسان الحالي – تأييدًا لنظرية العالم دارون – يعود من حيث وجوده على سطح الأرض إلى ١,٥ مليون سنة ، واليوم يكتشف العلماء في تشرين الأول سنة ١٩٧٤م فكًا متحجرًا كاملًا وسليمًا لإنسان عثروا عليه في وادى أواش في الحبشة .

ويقدر العالم الأنثروبولوجى (كارل جوهانس) ، وهو رئيس البعثة المسؤولة عن تلك الحفائر أن تاريخ هذا الفك يعود إلى (٣ – ٤) ملايين سنة وهي أقدم ما اكتشف العلماء من أحافير تنبئ عن عمر إنسان حتى الآن !! ..

فإذا عدنا إلى التسلسل التاريخي لعمر هذين الكائنين وجدنا أن الإنسان سكن الأرض قبل وجود القرد المذكور بأكثر من مليونين من السنين ، فكيف يمكن للثاني (القرد) أن يكون جدًّا للأول (وهو الإنسان) ؟ » .

وهذا يعني أن الإنسان حين خُلِق خُلق على هيئة إنسان ، وأن القرد حين خُلِقَ خُلق على هيئة قرد ، فأين التطور من كلٍّ من الخَلْقين ؟ .

٢ – وذكرت « مجلة عالم الفكر » (ص ١١) – العدد الرابع – المجلد الثالث عام ١٩٧٣م ما يلي :

« أعلن الدكتور (ريتشارد ليكي) مدير المتحف الوطني في كينيا في نوفمبر عام ١٩٧٢م أمام الجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن عن اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى (٢,٥) مليون سنة مضت ، وهذه الجمجمة ترجع بذلك إلى (١,٥) مليون سنة عن أقدم أثر أمكن العثور عليه حتى ذلك الحين ، كما أنه تم اكتشاف عظام ساق ترجع إلى تلك الحقبة من التاريخ في جبل حجري بإحدى الصحراوات شرقي بحيرة (رودولف) في كينيا .

ويبدو أن هذا الاكتشاف سوف يقلب النظريات القائمة بشأن تطور الإنسان من أسلافه المبكرين من عصور ما قبل التاريخ ، فنظريات التطور الحالية وعلى رأسها نظرية « دارون » تذهب إلى أن الإنسان تطوَّر من مخلوق بدائي كانت له سمات فيزيقية أقرب إلى سمات القِرَدَة العليا .

وإن أقدم أثر للإنسان ككائن منتصب القامة يرجع إلى نحو مليون سنة فقط في حين أن الاكتشاف الجديد يدل على أن الكائن البشري المنتصب القامة يسير على ساقين اثنتين لم يتطور من كائن أكثر بدائية أو أنه انحدر من سلالة أحد تلك الآدميات المشبهة بالقردة ، وإنما عاصرها منذ حوالي مليونين ونصف سنة ، وليس من شك في أنه لو صحت هذه النظرية لهدمت نظرية التطور الداروينى من أساسها ، ودعمت نظرية الخلق المستقل !! .. » .

أقول : هذه الاكتشافات الجديدة التي أظهر حقائقها علماء الحفريات والآثار . . تؤكد لكل ذي عقل وبصيرة أن النظرية الدارونية أصبحت من النظريات الباطلة التي تستأهل أن توضع في متاحف التاريخ العلمي للحفظ والذكرى ..

ألا فليعلم المتعصبون لدارون هذه الحقائق ؟!! .. فياليتهم يعلمون ويفهمون !! ..

* * *

أما موقف الدين من نظرية التطور فإن القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، قد بينا حقيقة بدء الحياة ، وخلق الإنسان قبل أن يقول العلم كلمته في هذا المضمار ، وهذا يعني أنه لا تعارض بين الإسلام وبين الحقائق العلمية الثابتة ، وكيف يقع التعارض ، والحياة والكون والإنسان من خلق اللَّه ، والإسلام تشريع رباني أنزله اللَّه على قلب رسوله ﷺ ؟ إذن فلا تعارض بين خلق اللَّه وبين تشريع اللَّه ؛ لأن الخالق واحد ، والمشرِّع واحد ! . ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣، ٤] .

ولو تصفحنا آيات القرآن الكريم ، وتتبعنا الأحاديث الصحيحة ، لرأيناها تؤكد بأوضح بيان أن خلق آدم عليه السلام حدث قبل أن ينفخ فيه الروح على هيئته الكاملة السوية ، دون أن يمر بمراحل التطور كما يدَّعي المذهب الداروني ؛

لتتضح معجزة الخلق الأول ، وهي أمر اللَّه للشيء كن فيكون .

وإليكم بعض هذه النصوص :

- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧] .

- ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١، ٧٢] .

- وروى الترمذي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **إن اللَّه ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحَزْن ، والطيب والخبيث** » قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

- وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلُّكم لآدم ، وآدم**

من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى » .

* * *

بعد الذي قررناه من الأدلة العلمية ، والأدلة الدينية تبين لك أيها القارئ الكريم أن نظرية التطور ، والتي منها أن الإنسان انحدر من قرد ، ليست إلا من قبيل الفَرضيَّات التي لم يقم عليها دليل علمي ، ولا برهان عقلي بل أصبحت في نظر كثير من العلماء المختصين - كما مرَّ معك - من النظريات الباطلة التي عفَّى عليها الزمن ، ووضعها التاريخ فى متاحفه وزواياه .

ولولا أن الصهيونية العالميَّة تروِّج لها ، والمذاهب المادية تتبناها لسقطت منذ زمن ، وألقيت في سلَّات الإهمال وأصبحت نسيًا منسيًّا .

إن بروتوكولات حكماء صهيون تذكر بصراحة ووضوح أنها هي التي مهدت لنجاح نظرية دارون ، وقصدها الدنيء من ذلك تحطيم الأديان غير اليهودية في أنفس البشر .

جاء في البروتوكولات : « دارون ليس يهوديًّا ، ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ، ونستغلها في تحطيم الدين » .

والمذاهب المادية تتمسك بها وتدعو لها ؛ لزرع التشكيك الذي يؤدِّي إلي الإلحاد ، وإنكار وجود الخالق .

جاء في كتاب « المادية الديالكتيكية » أن « ستالين » ذكر مرة قول انجلز فقال : « ينبغي أن نذكر بالدرجة الأولى داروين الذي وجه ضربة قاسية للفهم الميتافيزيقي للطبيعة ، بإثباته أن العالم بأسره ليس كما هو موجود اليوم » .

والنظريات العلمية حينما تكون ألعوبة بيد أهل الزيغ والأهواء ، ووسيلة من وسائل التشكيك والإلحاد ، تخرج من دائرة البحث العلمي إلى حلبة الصراع الفكري ، والاستغلال المذهبي .. فعندئذ لا تقام موازين للعلم ، ولا ضوابط للحق والعرفان .

قليلًا من الإنصاف والأمانة العلمية .. يا من اتخذتم من هذه النظرية ستارًا لزرع الشك والإلحاد في نفوس الناشئة والشباب ، ويا من ناديتم بها على أنها حقيقة علمية ، وأنها

من اليقينيات والمسلَّمات .

فلن يستجيب العقل الواعي المفكر لدعوة الجهل ، والزيغ والإلحاد .. فالقلب المؤمن باللَّه أكبر من أن يناله تشكيك ملحد ، أو تضليل مفسد ومخرب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦- ٨] .

* * *

خـاتـمـة

بعد الذي ذكرناه من الأدلة العلمية والبراهين العقلية حول وجود اللَّه تعالى ، وخلق الكون والحياة والإنسان .. وبعد الذي أبطلناه من الشبهات التي يثيرها الملحدون حول : « **من خلق اللَّه ؟** » ، « **وأصل الحياة والإنسان** » ، وبعد الذي أثبتناه من نصاعة الحق ، ووضوح الدليل .

بعد هذا كلِّه سوف نرى هؤلاء الحائرين المتمردين قد دخلوا روضة الإيمان ، وولجوا جنة اليقين ، وأصبحوا من المؤمنين الراسخين ، والمهتدين الأتقياء ، والصالحين الأبرار .

وأما من بقي متخبطًا في تحيره وتشككه ، ومصرًّا على زيغه وانحرافه ، فمهما أتيت له بالأدلة الناصعة ، والبراهين الدامغة ، فلن يزداد إلا مكابرةً وعنادًا ، وما ذاك إلا للرَّيْن الذي غشَّى قلبه ، والضباب الذي غشَّى عينيه ، والبيئة الفاسدة التي رضع منها لبان الضلال والإلحاد .. ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

وليس يصحُّ في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

وما أصدق ما قال بعضهم :

ومن يَكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ
يَجِدْ مرًّا به الماءَ الزلالا

وما أحسن ما قال آخر :

قد تنكرُ العينُ ضوء الشمسِ من رَمَدٍ
وينكرُ الفمُ طَعمَ الماءِ مِنْ سِقَمِ

فما حال هؤلاء المتعنتين والمكابرين ، إلا كحال من قال اللَّه عنهم في محكم تنزيله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

وماذا عليهم لو استسلموا للأدلة والبراهين ، وخضعوا للمنطق ، وأقروا بالحق الواضح الذي لا غموض فيه ؟ .

وماذا عليهم لو تأملوا في الظواهر الكونية ، والأجرام

العلوية والسفلية ، حتى يصلوا إلى الإيمان باللَّه واجب الوجود ؟ .

وماذا عليهم لو فتحوا قلوبهم وعقولهم لآيات اللَّه الباهرة ؛ ليروا الحقيقة ناصعة كالشمس ، والحق أبلج كالضوء ؟ .

لو كلفوا أنفسهم بهذا ، لوجدوا في قرارة وجدانهم حلاوة الإيمان ، وبرد اليقين ، ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون ! .

ولا يسعني في الختام إلا أن أتضرع إلى اللَّه ﷻ أن يوفق أبناء هذه الأمة ، إلى ما فيه عزهم وسعادتهم ، وأن يبصرهم طريق الهدى والإيمان ، وأن يريهم الحق حقًّا ويرزقهم اتباعه ، وأن يريهم الباطل باطلًا ويرزقهم اجتنابه ، وأن يلهمهم دائمًا الرشد والسداد ، وأن يجعل منهم أمة قوية متينة تبني الحضارة ، وترسي قواعد المدنية ، وترفع بأيديها لواء الكرامة والنصر ، وتستعيد عظمة التاريخ ، ومجد الآباء ، وعزة الماضي .. وما ذلك على اللَّه بعزيز ، إنه بالإجابة جدير وخير مسؤول ونصير .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

فهـــرس

مقدمة الطبعة الثالثة ٣
مقدمة الطبعة الثانية ٥
مقدمة الطبعة الأولى ٨
تقدمة وتمهيد ١٠
١ – وجود الخالق ١٣
١ – دليل حدوث الكون ١٩
٢ – دليل الإرادة العليا ٢٣
٣ – ظاهرة الحياة ٢٤
٤ – ظاهرة الإلهام والهداية ٢٨
٥ – ظاهرة الوحدة المتكاملة ٣١
٢ – شبهة هذا الكون وجد مصادفة ٣٩
٣ – شبهة هذا الكون أوجدته الطبيعة ٤٥
٤ – شبهة مَنْ خلق اللَّه ؟ ٥٣
وشبهة هل يستطيع ربُّك أن يخلق إلهًا ؟ ٦٠
٥ – شبهة انحدار الإنسان من قرد ٦٧
١ – وجود الانتقالات الفجائية ٦٩

٢ - وسائل الدفاع عن النفس ٧٠
٣ - انتقال الصفات الوراثية ٧٢
٤ - وجود الأنواع المتباينة ٧٥
٥ - لو كانت نظرية التطور صحيحة لانعدمت الحياة ٧٦
٦ - ردُّ الأستاذ فريد وجدي ٧٦
٧ - أشهر العلماء الذين نقدوا النظرية ٧٧
٨ - اكتشافات جديدة زلزلت النظرية ٨٠
خاتمة ٨٨
فهرس ٩١

* * *

رقم الإيداع
١٩٨٧/٣٢٤٧

السيرة الذاتية للمؤلف

● هو الأستاذ الدكتور عبد اللَّه ناصح علوان ، العالم والفقيه والداعية والمعلم .

● ولد في حي قاضي عسكر بمدينة حلب السورية سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م في أسرة متدينة معروفة بالتقى والصلاح يرجع نسبها إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

● تلقى تعليمه الابتدائي في بلدته وعندما أتمه وجَّهه أبوه لدراسة العلوم الشرعية بالمدرسة الخسروية سنة ١٩٤٣م ، فتلقى على يد أساتذةٍ عظامٍ ، منهم : الشيخ راغب الطباخ ، وأحمد الشماع ، وأحمد عز الدين البيانوني ، والتقى هناك بالدكتور الشيخ مصطفى السباعي .

● وقد نال شهادة الثانوية الشرعية من تلك المدرسة سنة ١٩٤٩م ، وسافر بعدها لتلقي العلم بالأزهر الشريف ، وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين سنة ١٩٥٢م ، ثم حصل على الدراسات العليا في التربية سنة ١٩٥٤م ، ثم عاد إلى حلب وعمل مدرسًا لمادة التربية

الإسلامية في ثانويات حلب . وسافر الشيخ إلى الأردن وأقام فيها ثم توجه إلى السعودية وعمل مدرسًا في جامعة الملك عبد العزيز ، وحصل منها على درجة الدكتوراه في الفقه والدعوة ، وظل يعمل بها حتى توفي في يوم السبت ٥ محرم ١٣٩٨هـ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٧م في جدة ونقل من جدة إلى مكة ودفن فيها حيث صُلِّيَ عليه بعد صلاة العصر .

● **وقد ترك الشيخ الكثير من المؤلفات منها :**

آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجين ، الأخوة الإسلامية ، الإسلام والجنس ، الإسلام والحب ، سلسلة مدرسة الدعاة ، الإسلام والقضية الفلسطينية ، أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار (عربي - E) ، إلى كل أب غيور يؤمن باللَّه ، تربية الأولاد في الإسلام (عربي - E - مسموع) ، تعدد الزوجات في الإسلام ، حتى يعلم الشباب ، حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية (عربي - E) ، دور الشباب في حمل رسالة الإسلام ، عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام ، مسؤولية التربية الجنسية ، حكم الإسلام في وسائل الإعلام ، حكم الإسلام في التأمين .

* * *